

لم أسمع شيئاً

عند باب مبنى أسقفية الفيوم القديم سأل الأب الكاهن عن أبيه الأسقف نيافة الأنبا أبرام, فقيل له أنه جالس على الأريكة (الدكة) كعادته فدخل إليه.

إذ رآه الأب الأسقف همّ عليه مُسرِعاً في بشاشة ليحتضنه ويُقبّله, ثم سأله عن أخباره, فتنهّد الأب الكاهن بمرارة وهو يقول:

- لم أنم الليل كله يا أبي الأسقف.

- لماذا؟

- بسبب زميلي الكاهن.

هنا صمت الأب الأسقف دون أن تظهر على وجهه أية ملامح, لكن الكاهن استرسل في الحديث عن زميله الكاهن. وإذ طال الحديث جداً والكاهن يشكو زميله استدعى الأنبا أبرام أحد العاملين في الأسقفية يدعى رزق, وسأله أن يهيئ له فنجان قهوة.

شرب الكاهن الفنجان واسترسل أيضاً في الحديث, وإذ أطل عاد نيافته فطلب للكاهن فنجاناً آخر.

عاد الأب الكاهن يتحدّث في مرارة, والأسقف لا ينطق ببنت شفة ولا ظهرت أية علامة تعبر عن شيء كانعكاس لما يسمعه. وأخيراً ختم الكاهن حديثه هكذا: لقد أطلت الحديث عليك يا أبي الأسقف لكنك لم تجبني بكلمة ولا

أرشدتني ماذا أفعل. عندئذ تطلع إليه الأب الأسقف وهو يقول: سأطلب لك فنجان قهوة يزن عقلك ... صدقتي إنني لم أسمع شيئاً من كل ما قلتها.

خجل الكاهن جداً من نفسه واعتذر عمّا صدر منه من شكوى ضد الكاهن زميله، طالباً منه أن يُصلي من أجله حتى يقدر أن يضبط لسانه بل وفكره فلا يدين أحداً، إنحنى برأسه يعتذر عمّا قاله، سائلاً الأب الأسقف أن يُصلي من أجله لكي يعطيه الرب جلاً عن خطاياها.

خرج الأب الكاهن من حضرة أبيه الأسقف ليجد أمامه زميله الكاهن فاحتضنه وقبّله ناسياً كل ما صدر منه.

عاد الكاهن إلى الأب الأسقف وأسرع بعد فترة ليست بطويلة فسأله الأسقف عن حال زميله، فأجاب الكاهن أن كل الأمور تسير بخير وأنه يشعر بأن زميله الذي كان قبلاً يراه كمضايق له قد صار لطيفاً معه للغاية، بل ويشعر أنه غير مستحق لزمالته ونوال بركته، وكان الكاهن يمتدح زميله جداً، ففرح به الأسقف، وتطلع إليه ببشاشة وهو يقول له: أسرع إلى الكنيسة واشترك في صلاة القداس الإلهي.

خرج الأب الكاهن من حضرة أبيه الأسقف وأسرع إلى الكنيسة حيث اشترك مع الآباء الحاضرين في القداس، وكان مُتهللاً جداً، يشعر بلذة روحية فائقة، وكانت نفسه كأنها منطلقة في السموات عينها.

انتهى القداس الإلهي بسرعة عجيبة, وانطلق الكاهن يحمل قربانة حمل نحو الباب الخارجي, ففوجيء به مُغلَقاً. أخذ الكاهن يقرع باب الكنيسة حتى فتح له الفراش وهو مندهش.

- كيف دخلت يا أبي الكنيسة؟
- كان الباب مفتوحاً.
- أنا لم أفتحه بعد.
- كيف هذا؟ فإنني اشتركت مع بعض الآباء في خدمة القداس الإلهي.
- أي قداس؟
- القداس الإلهي.
- لم يقدِّم اليوم قداس إلهي.
- أقول لك أنني اشتركت في الصلاة بنفسي, وها هي قربانة الحمل.

عندئذ أدرك الأب أنه إنما كان يُصَلِّي القداس الإلهي مُشترِكاً مع جماعة من الآباء السواح مكافأة له عن تركه إدانة أخيه الكاهن واتساع قلبه بالحب.